

تفسير البغوي

وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ ^قبَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ^قأَلَمْ يَأْسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا ^قوَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ^جإِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ

قوله عز وجل : (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) الآية . نزلت في نفر من مشركي مكة; منهم أبو جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية; جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم ، فقال له عبد الله بن أبي أمية : إن شرك أن نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فأذهبها عنا حتى تنفسح ، فإنها أرض ضيقة لمزارعنا ، واجعل لنا فيها عيونا وأنهارا لنغرس فيها الأشجار ونزرع ، ونتخذ البساتين ، فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود عليه السلام حيث سخر له الجبال تسبح معه ، أو سخر لنا الريح فركبها إلى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع في يومنا ، فقد سخرت الريح لسليمان كما زعمت ، ولست بأهون على ربك من سليمان ، وأحي لنا جدك قصيا أو من شئت من

آبائنا وموتانا لنسأله عن أمرك أحق ما تقول أم باطل ؟ فإن عيسى كان يحيي الموتى ،
ولست بأهون على الله منه فأنزل الله عز وجل : (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال)
فأذهبت عن وجه الأرض (أو قطعت به الأرض) أي : شققت فجعلت أنهارا وعيوننا)
أو كلم به الموتى (واختلفوا في جواب " لو " : فقال قوم : جوابه محذوف ، اكتفى
بمعرفة السامعين مراده ، وتقديره : لكان هذا القرآن ، كقول الشاعر : فأقسم لو شيء أتانا
رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعأراد : لرددناه ، وهذا معنى قول قتادة قال : لو فعل
هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم . وقال آخرون : جواب لو مقدم . وتقدير الكلام : وهم
يكفرون بالرحمن " ولو أن قرآنا سيرت به الجبال " كأنه قال : لو سيرت به الجبال " أو
قطعت به الأرض أو كلم به الموتى " لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا ، لما سبق من علمنا فيهم
، كما قال : (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما
كانوا ليؤمنوا) (الأنعام - 111) ثم قال : (بل الله الأمر جميعا) أي : في هذه الأشياء
إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل . (أفلم يئس الذين آمنوا) قال أكثر المفسرين : معناه
أفلم يعلم . قال الكلبي : هي لغة النخع . وقيل : لغة هوازن ، يدل عليه قراءة ابن عباس : "

أفلم يتبين الذين آمنوا " . وأنكر الفراء أن يكون ذلك بمعنى العلم ، وزعم أنه لم يسمع أحدا من العرب يقول : يئست ، بمعنى : علمت ، ولكن معنى العلم فيه مضمرة . وذلك أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعوا هذا من المشركين طمعوا في أن يفعل الله ما سألوا فيؤمنوا فنزل : (أفلم يئس الذين آمنوا) يعني : الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من إيمان هؤلاء ، أي لم يئسوا علما ، وكل من علم شيئا يئس من خلافه ، يقول : ألم يئسهم العلم : (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) . (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وأعمالهم الخبيثة (قارعة) أي : نازلة وداهية تقرعهم من أنواع البلاء ، أحيانا بالجذب ، وأحيانا بالسلب ، وأحيانا بالقتل والأسر . وقال ابن عباس : أراد بالقارعة : السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثهم إليهم . (أو تحل) يعني السرية والقارعة (قريبا من دارهم) وقيل : أو تحل : أي تنزل أنت يا محمد بنفسك قريبا من ديارهم (حتى يأتي وعد الله) قيل : يوم القيامة . وقيل : الفتح والنصر وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه . (إن الله لا يخلف الميعاد) وكان الكفار يسألون هذه الأشياء على سبيل الاستهزاء فأنزل الله تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ولقد

استهزی برسل من قبلك)